קורס: תרבות, חומר, טכנולוגיה: אדריכלות ורנקולרית
הפקולטה לארכיטקטורה ובינוי ערים, טכניון
בתמיכת החממה החברתית בטכניון
סמסטר: אביב 2024

مساق: حضارة، مادة، تكنولوجيا: أرشيف العمارة العاميّة
كلية الهندسة المعماريّة وتخطيط المدن، التخنيون
بدعم الدّفيئة الاجتماعيّة في التخنيون
الفصل الأكاديمي: ربيع 2024

הרצאה והנחיה	**אדר' רות ליברטי שלו**
תרגול	**אדר' שאדן חאמד-ספדי**
עריכה	**אדר' רגד ח'ורי**
محاضرة وإرشاد	المهندسة المعماريّة روت ليبرتي-شاليف
مساعدة تدريس	المهندسة المعماريّة شادن حامد-صفدي
تحرير المواد	المهندسة المعماريّة رغد خوري

עבודה	**"מקאם רבי אבדימי דמן (חיפה)"**
סטודנטים/יות	**יובל ולדנר**
תרגום לערבית	**דאר לילא הוצאה לאור**
وظيفة	"مقام الحاخام عفيديمي (حيفا)"
طلاب/طالبات	يوفال فالدنر
ترجمة للعربية	دارليلى للنشروالترجمة

© כל הזכויות שמורות. אין לעשות שימוש בחומר מעבודה זו ללא הרשאה מהיוצרים.
© جميع الحقوق محفوظة. من غير المسموح استخدام المواد المرفقة على أي وجه إلا بإذن مالكيها.

מקאם רבי אבדימי דמן (חיפה) | مقام الحاخام عفيديمي (حيفا)

יופאל פאלדנר | **יובל ולנדר**

مساق: حضارة، مادة، تكنولوجيا: أرشيف العمارة العامّيّة
محاضرة: المعماريّة روت ليبرتي-شاليف | مدرّسة مساعدة: المعماريّة شادن حامد-صفدي

קורס: תרבות, חומר, טכנולוגיה: אדריכלות ורנקולרית
מרצה: פרופ' אדר' רות ליברטי-שלו | עוזרת הוראה: אדר' שאדן חאמד-ספדי

2024

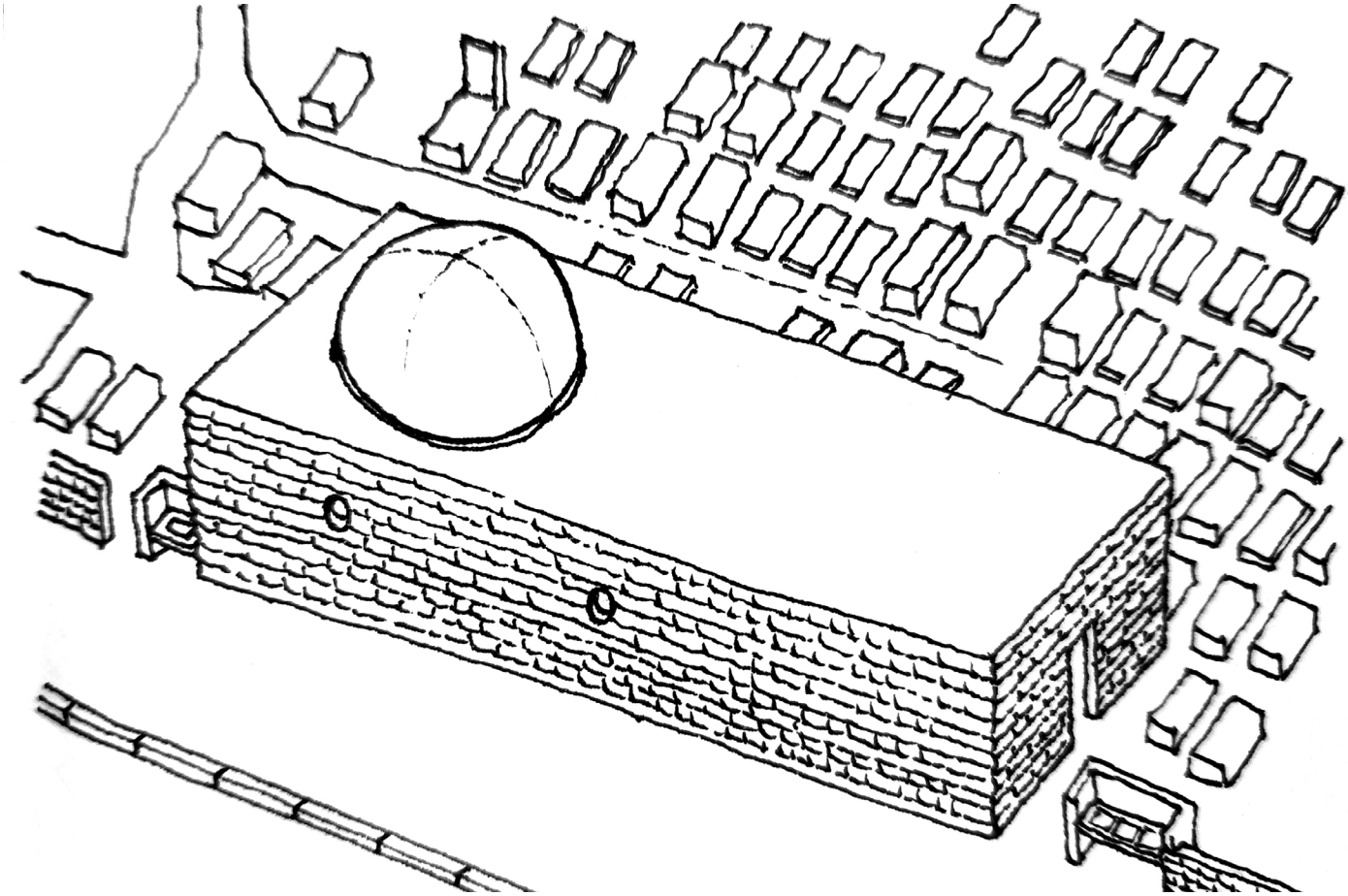

فهرس

תוכן עניינים

ملخّص	**4**
سؤال البحث	**5**
معطيات عامّة	**6**
موقع المقام وفترة إنشائه	6
توثيق فوتوغرافيّ حاليّ	8
رسومات	10
تحديد أوّليّ للمخاطر	14
من مجسّم لبوّابة	**16**
من بوّابة إلى جدار	**20**
من جدار لمجسّم	**24**
نقاش طبولوجيّ	**28**
استنتاجات وملخّص	**32**
قائمة المراجع	**34**
ملاحق	**36**
الطّالب	**39**
لماذا اخترت هذا المقام؟	**39**

ملخّص
תקציר

تقع المقبرة اليهوديّة القديمة في حيفا في جزيرة حضريّة تحدّها ستّ مسارات مروريّة مزدحمة في الطريق السريع رقم 4. كما هو الحال بالنسبة لمطاعم الشاورما ووكالات السيارات الذين يرافقون المسارات المروريّة الثلاثة في مدخل المدينة، توجد للمقبرة أيضًا لافتة كبيرة خاصّة بها. تمّ تصميم اللافتة على شكل قبّة مستديرة لونها أزرق فاتح فوق مبنى حجريّ مكعب، كأنّها تقول للمارّة: "هنا مدفون رجل صالح". يبدو مظهر القبة على المبنى طبيعيًّا، وعلى الأغلب لم يتساءل أحد من زوّار المبنى في العشرين سنة الماضية عن سبب عدم وجود أيّ تعبير في سقف المساحة الداخليّة عن القبّة التي تقع فوقه. تكشف دراسة منهجيّة لتطوّر المبنى ومحيطه على مدى 150 عامًا أنّ محاولة لصق قبة على المبنى كلوحة إعلانيّة ليست سوى واحدة من سلسلة تحرّكات تهدف إلى محاربة المصير الحضريّ الذي فُرض عليه.

تحت القبة الخرسانيّة المطليّة، والبلاط الحجريّ المنشور، والسقف الجصّي المُخفّض والاستكمال الخرساني الذي نراه اليوم، يوجد مبنى حجريّ مستطيل بسيط له فضاءات مقبّبة تمّ تشييدها في أوائل ثمانينيّات القرن التاسع عشر في وسط المقبرة اليهوديّة في حيفا، على شاطئ البحر. قامة المبنى التي ترتفع فوق القبور من حوله، وموقعه في مركز المكان، بالإضافة إلى اعتماد اسم الحاخام عفيديمي دامان، يهدف إلى إضفاء الهيبة والفخامة على كل من يأتي إلى المدينة من شارع يافا القريب. أدّى شقّ شارع يافا في نهاية القرن التاسع عشر وإحاطة المقبرة بجدار حجريّ لأن يصبح المبنى على حافّة المقبرة، كجزء لا يتجزأ من جدار المجمّع. في السنوات الأولى، أصبح المبنى نوعًا من بوّابة دخول للمقبرة، بحيث مرّ به جميع زوّار المجمّع. مع توسّع المدينة وازدحام النسيج البنيانيّ حول المبنى، فقد المبنى أهميّته في المشهد كمجسّم معزول في مدخل المدينة. خلال وقت قصير، تمّ اختراق بوّابة جديدة في جدار المقبرة على حساب البوابة القديمة للمبنى. مع مرور السنين، تم استيعاب المبنى تدريجيًّا في جدار المقبرة، إلى جانب الإهمال المستمر له والمجمع بأكمله. برز اسم المقام مرّة أخرى مع اتساع ظاهرة طقوس زيارة مقابر الصالحين في التسعينيّات من القرن العشرين، وإثارة الوعي العامّ بوضع قبور المقامات. تحت رعاية جمعيات مختلفة، أدّت سلسلة ترميمات لإجراء تعديلات متنوعة لتحويل المبنى لوظيفته الجديدة ككنيس يهوديّ صغير. من بين القرارات المعماريّة التي تمّ اتخاذها في إطار هذه الترميمات، تبرز محاولة تمييز المبنى عن جدار المقبرة، ومنحه طابع قبر رجل صالح جليليّ. وبهذا الشكل، عمليًّا، جذب انتباه المارّون في شارع رقم 4 كمجسّم له هويّة خاصّة به.

سؤال البحث
שאלת המחקר

مثلما خضع المبنى لتغييرات عديدة منذ إنشائه، كذلك تغيّر محيطه بشكلٍ كبيرٍ. سأحاول من خلال هذه الوظيفة أن أفهم **كيف يتواصل ويتفاعل التطوّر المعماريّ لمبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان للتطوّر الحضريّ الذي من حوله.** لتحقيق هذه الغاية، سأتتبّع مراحل تطوّره، كما تتّضح من الوثائق المصوّرة والمكتوبة التي أُنجزت على مرّ السنين. في نفس الوقت، سأتتبّع من خلال خرائط تاريخيّة وصور جويّة التغييرات التي أُجريت على الهيكل الحضريّ ووتيرة البناء من حوله على مرّ السين. بالإضافة إلى ذلك، سأحاول أن أفهم الدوافع التي أدّت إلى كلّ تغيير، وما إذا كانت يمكن أن تُسخّر الصفات البيئيّة الحضريّة.

معطيات عامّة
נתונים כלליים

موقع المقام وفترة إنشائه
מיקום המקאם ותקופת הקמתו

المقبرة اليهوديّة القديمة، حيفا
בית הקברות היהודי הישן, חיפה

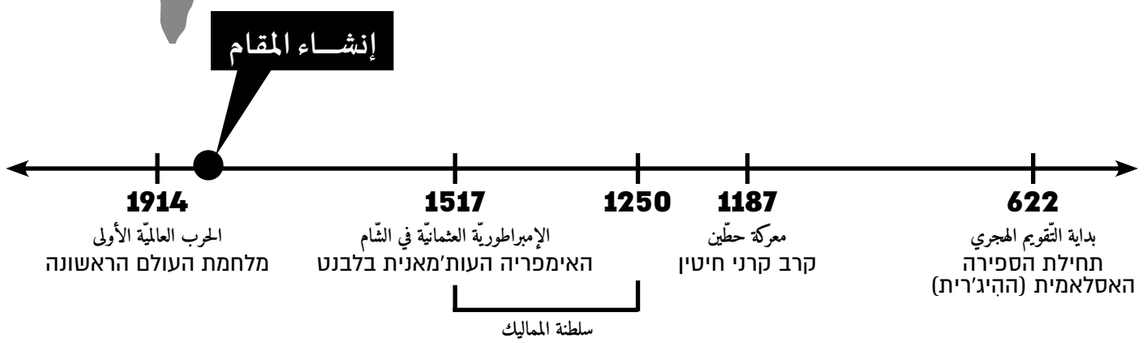

مســطّح تاريخي | מפה היסטורית

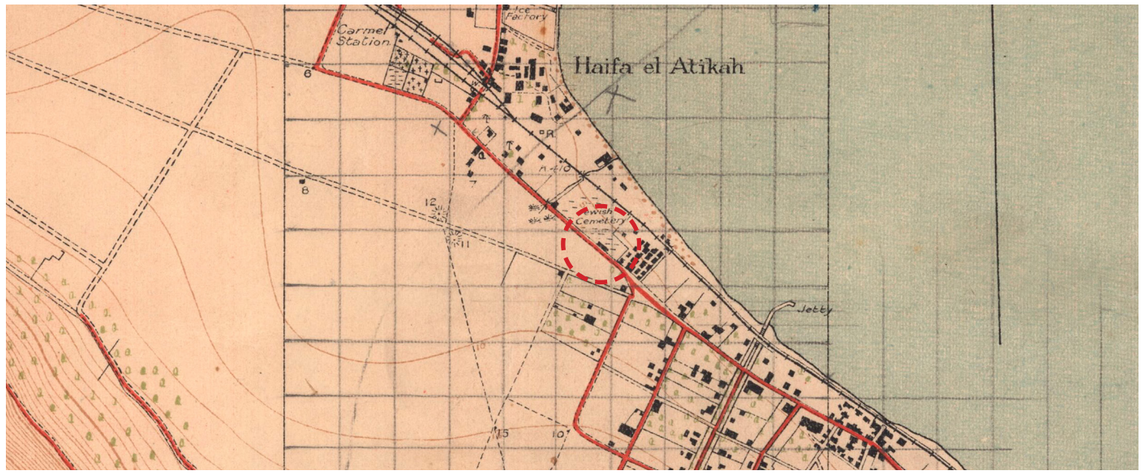

خريطة طبوغرافيّة لحيفا، سلاح الهندسة الملكيّ، مقياس رسم 1:10,000، 1919. المصدر: مجموعة الخرائط على اسم عِران لاؤور، المكتبة الوطنيّة.

مســطّح حاليّ | מפה עכשווית

حيفا، صورة جوّيّة. مقياس رسم 1:2,500، 2023. المصدر: مركز المساحة وخرائط إسرائيل.

توثيق فوتوغرافي حالي
תיעוד צילומי עכשווי

تصوير: يوفال فالدنر. حزيران 2024.
צילום: יובל ולדנר. יוני 2024.

الواجهة الغربيّة والجدار الفاصل بين شارع يافا والمقبرة.

الواجهة جنوبيّة المطلّة على شارع يافا.

الواجهة الشرقيّة وفيها مدخل لقسم النساء.

الواجهة الشماليّة من داخل المقبرة.

قسم النساء، نظرة باتّجاه شمال-غرب.

قسم الرجال وقبر الحاخام عفيديمي دامان، نظرة باتّجاه الشرق.

رسومات
שרטוטים

رسم ثلاثيّ الأبعاد | **שרטוט תלת מימדי**

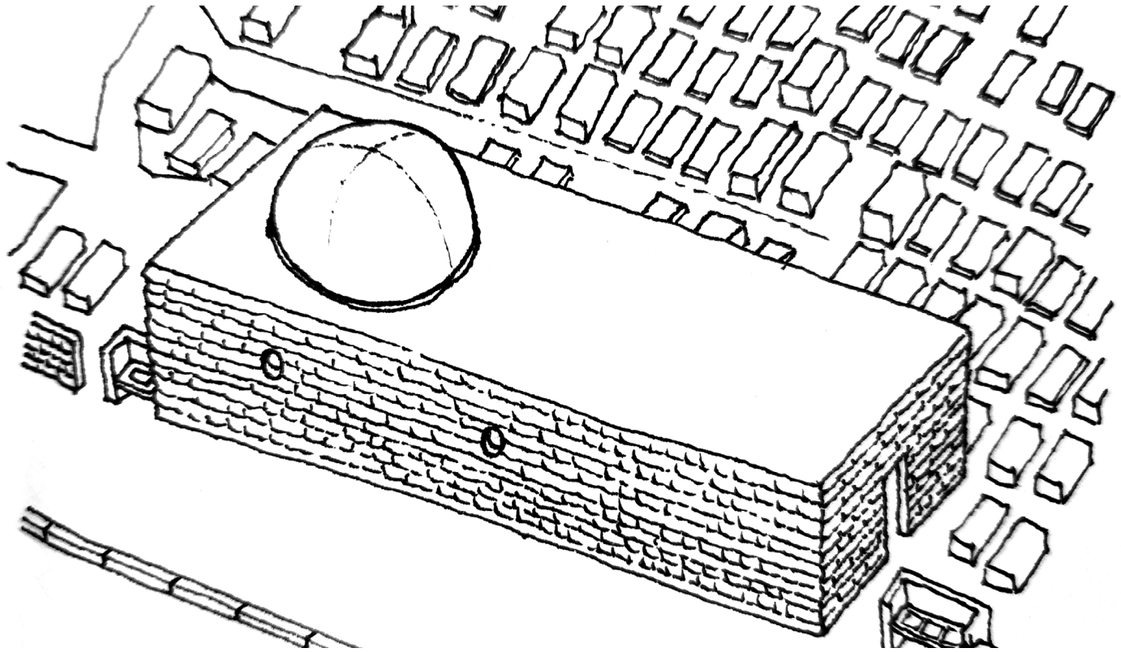

مقطع طبوغرافي | **חתך טופוגרפי סביבתי**

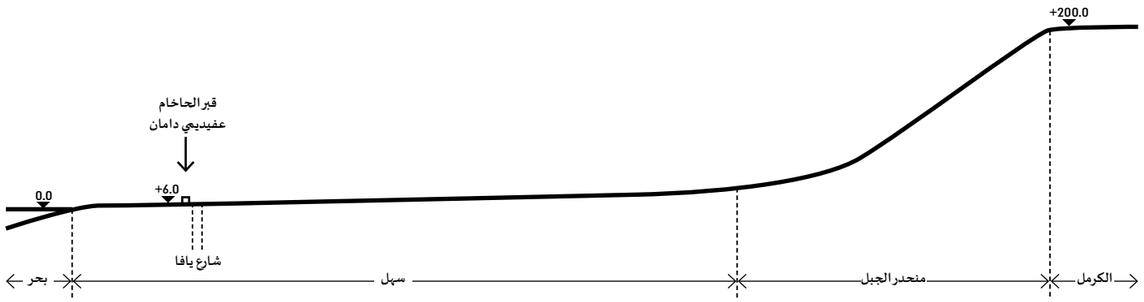

مسطّح (مقياس رسم 1:50) | تكنية (קנ"מ 1:50)

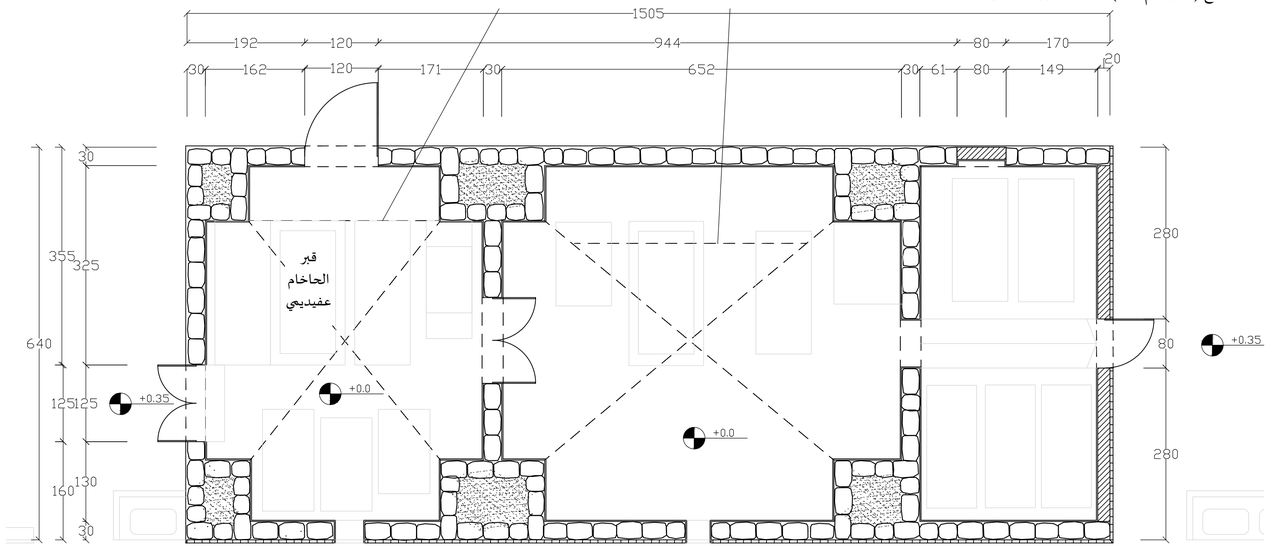

مقطع (مقياس رسم 1:50) | חתך (קנ"מ 1:50)

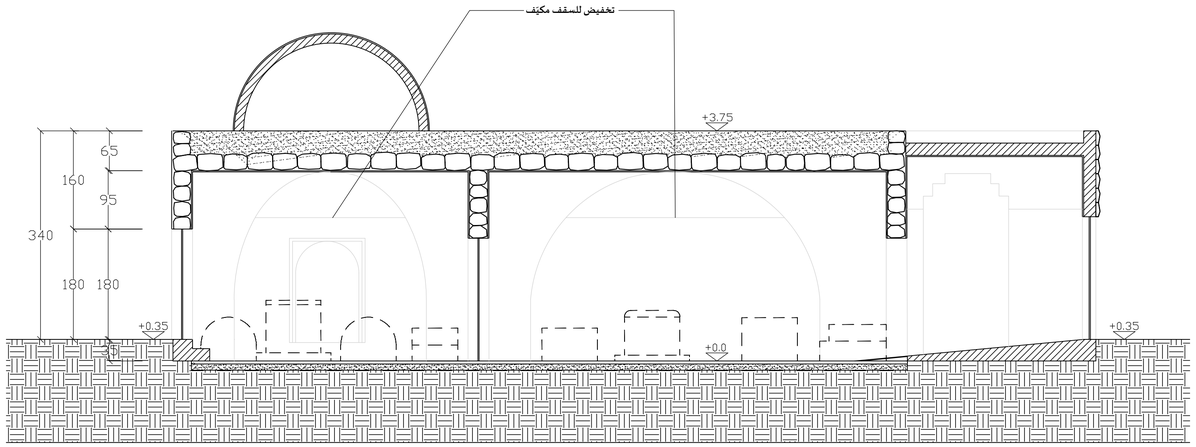

تحديد أوّلي للمخاطر
זיהוי ראשוני של מפגעים

تمّ إجراء عمليّة الترميم الأخيرة للمبنى في السنوات 2020-2021، كما تمّ إصلاح أو تغطية معظم المخاطر، ولذلك لا يمكن تحديدها. مع ذلك، يمكن الإشارة إلى عدد من إخفاقات التخطيط أو التنفيذ التي تضرّ بمظهر المبنى من الداخل والخارج:

الواجهة الشماليّة

فضاء الردهة، نظرة باتّجاه الغرب

فضاء القبر، نظرة باتّجاه الجنوب

01 من مجسّم لبوّابة

من مجسّم لبوّابة

كان الحاخام عفيديمي دامان حاخام بلدة حيفا في نهاية القرن الثالث ميلاديّ، ومن الأموريم العظماء في جيله. أطلق العديد من أحكام الشريعة اليهوديّة، من بينها في مدراش كوهيليت، ومدراش رابا شِموت، ومدراش رابي تنحوميا، كما أمر الحيفاويّين الالتزام بتهجئة الحروف عند التلاوة السمعيّة (غاتس، 1998، 49). كانت حيفا في حينه بلدة يهوديّة صغيرة تقع في المنطقة التي تُسمّى بات غاليم اليوم. ذُكرت مدينة حيفا في أدبيّات التلمود والمدراش، وخصوصًا بفضل حاخاماتها، كالحاخام عفيديمي دامان حيفا والحاخام حلفتا دامان حيفا، المسمّيان على اسمها. تشمل الأدلّة الأثريّة التي تمّ اكتشافها في حيفا القديمة عملات معدنيّة، وبقايا مبانٍ، والعديد من قطع الفخار (فيلنائي، 1985، 45-46). في عام 1875، اكتشف أعضاء بعثة المسح البريطانيّة دلالات للوجود اليهوديّ في المكان خلال القرون الأولى بعد الميلاد – صورة شمعدان فوق فتحة كهف دفن في منطقة حيفا القديمة. في عام 1890، اكتشف المهندس الألماني غوطليف شوماخِر سلسلة كهوف دفن أخرى بالقرب من بيت رقم 21 في شارع العتيقة اليوم (عولامي، 1985، 93).

رسم يصف الشمعدان ذا الأذرع السبعة فوق فتحة كهف الدفن في حيفا القديمة.
المصدر: "حيفا ومواقعها". 1985.

تمّ تقديم الشهادة الأولى للمقبرة اليهوديّة العتيقة في حيفا في عام 1333 من قبل الرحّالة رابي يتسحاق بار يوسف حلو، الذي جاء إلى البلاد من مملكة أرغون في إسبانيا: "من قلمون نأتي إلى حيفا. تقع مقابل جبل الكرمل، وهي مدينة مولد الحاخام عفيديمي دامان حيفا. توجد في هذه المدينة مجموعة دينيّة شهيرة بالتزامها الحسيديّ، ويسجد في مقبرة اليهود كلّ من يهاجر لأرض إسرائيل، لأنّه دُفن هناك العديد من حاخامات إسرائيل من كلّ البلاد الذين ماتوا في عكا". (حِفرا كاديشا حيفا). تأتي الشهادة الأولى التي تربط المقبرة بالحاخام عفيديمي دمان بعد حوالي 300 سنة، في سنة 1625، وجاءت على لسان شخص مجهول الهويّة: "تقع حيفا على شاطئ البحر الكبير، وفيها كنيس مبنيّ، وفي بيت الحياة وهناك يوجد نعش حجريّ وفيه الحاخام عفيديمي من حيفا، والحاخام يتسحاق نفحا". (كرمل، 2002، 37) نستنبط من هذه الشهادات أهمّيّة قبر الحاخام عفيديمي دامان كمركز للحجّاج المرتبط بالاستيطان اليهوديّ القديم في حيفا.

تبدأ قصّة إنشاء مبنى المدفن الذي يُشير اليوم إلى قبر الحاخام عفيديمي دامان بوفاة شخص يهوديّ اسمه الحاخام يوسف ألتار من راديفيتس، الذي جاء في صيف سنة 1879 من صفد إلى حيفا بهدف النقاهة. كان الحاخام يوسف ألتار معروفًا بين يهود صفد، ودار جدال بين يهود مدينته ويهود حيفا حول مكان دفنه. تقرّر أخيرًا دفنه في المقبرة اليهوديّة القديمة في حيفا، إلى جانب قبر الحاخام عفيديمي دامان. بعد فترة غير معروفة، جاء ابنه إلى البلاد، الحاخام موشيه من راديفيتس، وأنشأ فوق قبر والده مبنى المدفن الذي نراه اليوم (غاتس، 1998، 49). وفق اللافتات التي وضعها مجلس الحفاظ على المواقع في المكان، بنى منشئو المبنى، وكانوا أثرياء، مبنى الحاخام عفيديمي دامان بأنفسهم إلى جانب قبر والدهم، كي يضفوا هيبة للمكان. يتّسق هذا مع الشهادة من سنة 1625، التي تُشير إلى مكان القبر في كوخ حجريّ، ومحاذاته لقبر الحاخام رابي يتسحاق نفحا – الذي لا يمكن مشاهدته بين القبور السبعة التي تحيط اليوم قبر الحاخام عفيديمي دامان. يمكن الافتراض أنّ مكان المدفن الحقيقيّ للحاخام عفيديمي دامان ليس بعيدًا من هناك، في أحد الأكواخ الحجريّة في كهوف الدفن التي تمّ اكتشافها في حيفا القديمة.

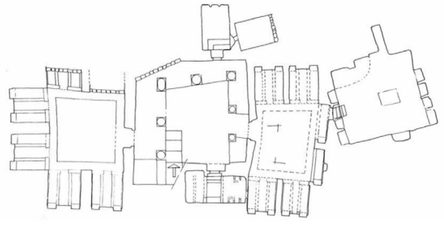

في الأعلى: واجهة كهف الدفن في حيفا القديمة. في الأسفل: مخطّط كهف الدفن. المصدر: "حيفا ومواقعها"، 1985.

إذن، يبدو أنّ خيمة دفن الحاخام عفيديمي دامان أُنشئت حوالي سنة 1880 كمبنى حجريّ من طابق واحد على شكل منشور بارتفاع 3.4 مترًا، طوله 8.5 مترًا، وعرضه 6.4 مترًا. شمل المبنى في ذلك الوقت غرفتين فقط – فضاء ردهة وفضاء المدفن. كان مدخل المبنى من خلال فتحة واحدة في الواجهة الشرقيّة التي أدّت إلى فضاء الردهة، ومن خلاله كان يمكن الوصول إلى فضاء المدفن. يبدو أنّه تمّ تأطير فتحة المدخل بجدارين حجريّين كانا استمرارًا لجوانب المنشور الطويلة على بعد حوالي ستّة أمتار باتّجاه الشرق[1]. يظهر التوثيق الدقيق الأوّل للمقبرة اليهوديّة في حيفا في خريطة بحريّة فرنسيّة لخليج حيفا من العام 1866. تظهر المقبرة اليهوديّة في الخريطة قبل إنشاء مبنى المدفن، ويبدو أنّه يمتدّ على المساحة التي تقع بين شارع يافا وشاطئ البحر. في خريطة أصدرها صندوق استكشاف فلسطين (PEF) من العام 1880، يمكن مشاهدة خطّ متقطّع يحدّ المقبرة، ولكنّه ليس متاخمًا للخطّ الذي يُشير إلى شارع يافا. يدّعي يعقوب عولامي في كتابه "حيفا ومواقعها" بأنّ المبنى يقع، في تلك المرحلة، في مركز المقبرة. يرسم الجمع بين هذه البيانات صورة المشهد التالية – مبنى المدفن، الذي يرتفع فوق القبور المحيطة به، يهيمن على منطقة مفتوحة تجاه البحر ويستقبل مغادري حيفا والوافدين إليها. في صورة نادرة من العام 1896، يبدو مبنى حجريّ مشابه لمبنى المدفن، يقع في موقع وبيئة ملائمة للوصف أعلاه، كمجسّم منعزل في مشهد مدخل المدينة.

1 تستند هذه البيّنة على معطيين: الجدران التي تؤطّر المدخل (30 سم) سميكة في قسمها الأسفل وتصبح نحيله في قسمها الأعلى، وصورة للمبنى من سنة 1993 لا يمكن من خلالها تحديد خطّ البناء في طرف المنشور الأصليّ.

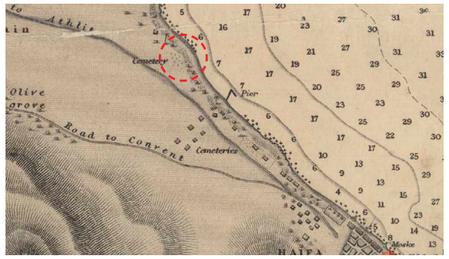

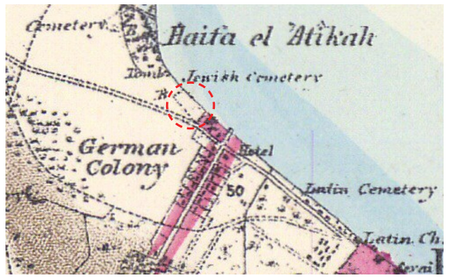

في الأعلى: خريطة بحريّة فرنسيّة، 1866. في الأسفل: خريطة صندوق استكشاف فلسطين، 1880. المصدر: المكتبة الوطنيّة.

مشهد عامّ لحيفا، بطاقة بريديّة، 1896. المصدر: ياد يتسحاق بن تسفي.

بعد ثلاث سنوات، قام المهندس غوطليف شوماخِر برسم مخطّط شريط ساحل حيفا. يظهر في المخطّط أنّ طريق شارع يافا بات لا يمرّ بجانب المقبرة، وإنّما يمرّ من خلالها. في الطرف المطلّ على شارع يافا، يحدّ المقبرة جدار يُعتبر مبنى المدفن جزءًا منه. في صورة تمّ التقاطها بعد مرور ثمانية عشر عامًا، تظهر التغييرات التي طرأت على المبنى – الجدار الذي يتّصل بالحائط الجنوبيّ يتّصل بالمبنى في بوّابة مدخل المقبرة. القرار بإغلاق المقبرة بجدارٍ طويلٍ، بحيث تكون الفتحة الوحيدة ملاصقة لمبنى المدفن، تمنح المبنى وظيفة مبنى بوّابة، الذي يضّطر كلّ زوّار المقبرة المرور من خلاله. إذا كان في خريطة شوماخِر من العام 1899 مقطع الجدار الذي يرافق شارع يافا هو المقطع الوحيد الذي حدّ المقبرة، أصبح في العام 1917 مربّع مبانٍ كثيف، المعروف بـ"حيّ القشلة"، حدًّا للمقبرة من الشمال، وفصل بينها وبين البحر. بهذا الشكل، تحوّلت المقبرة من حيّز مفتوح إلى قطعة أرض محدّدة، وتحوّل مبنى المدفن من مجسّم منعزل لمبنى مدخل.

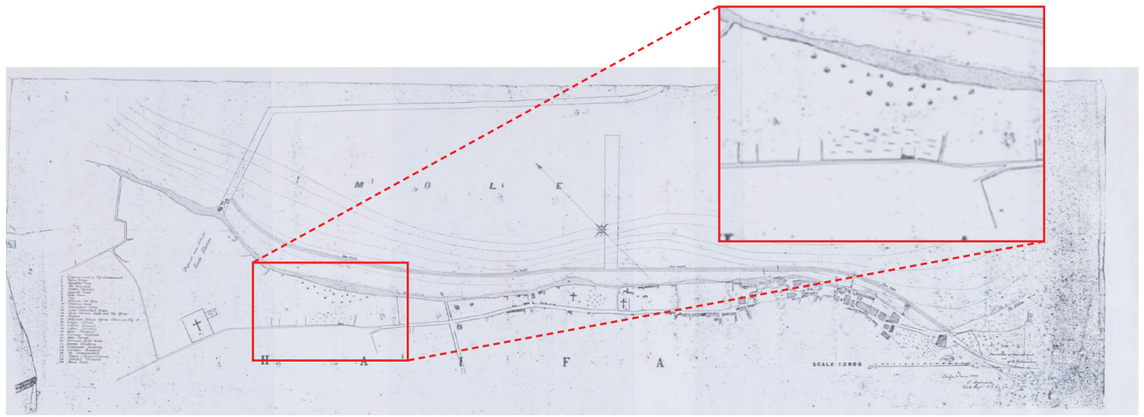

في الأعلى: مخطّط شريط ساحل حيفا، غوطليف شوماخِر، 1899. المصدر: مركز أبحاث التراث المبني في التخنيون.
في الأسفل: نظرة إلى الشمال، 1917. المصدر: The State Archives of Bavaria.

02 من بوّابة إلى جدار

من بوّابة إلى جدار

في الصورة، التي يبدو أنّه تمّ التقاطها في نهاية سنوات العشرين من القرن العشرين، يبدو تغيير صغير، ولكن دراماتيكيّ، سيؤثّر على وظيفة المقبرة القديمة وتوجّهها. تمّ اختراق مقطع الجدار الغربيّ للمقبرة، ذاك الذي لا زالت هناك مساحة زراعيّة مقابله، من أجل فتح مدخل جديد للمقبرة. يبدو أنّ البوّابة الجديدة هي إضافة – وليست بديلة – للبوابة القديمة التي تظهر بوضوح في مكانها الملاصق لمبنى المدفن. بهذا الشكل، فقد المبنى وظيفته كالبوّابة الوحيدة للمقبرة. يمكن إيعاز ذلك للتغييرات التي طرأت على المنطقة في تلك السنوات. منذ إنشاء الكولونيا الألمانيّة في سنة 1887، بدأت مدينة حيفا بالتوسّع نحو الشرق والغرب واخترقت الأسوار التي أحاطت بها. بدأت المزيد من العائلات المسيحيّة بشراء أراضٍ خارج الكولونيا الألمانيّة، في مناطق كانت زراعيّة فقط آنذاك. يظهر في خريطة غوطليف شوماخِر أنّ الاستيطان في المنطقة بدأ بطريقة متفرّقة هنا وهناك، ولكن سرعان ما تحوّل إلى بناء مكثّف أكثر، وخصوصًا في حيّ القشلة الذي كان شرق المقبرة. كما يظهر في خريطة سلاح الهندسة الملكيّ من العام 1919، فصلت بعد مرور عشر سنوات سكّة الحديد الانتدابيّة بين المقبرة وشاطئ البحر شمالًا. اتّصلت سكّة الحديد بمحطّة قطار الحجاز شرقًا، ومرّت من المنطقة، وتمّ إنشاء محطّة لها في منطقة مفرق دولفين اليوم. أدّى إنشاء المحطّة إلى تسريع تطوّر المنطقة، وبدأ إنشاء حيّ جديد بجانبها، وتمّ تسمية الحي "محطّة الكرمل"، وبالعربيّة "حيّ المحطّة". تمّ إنشاء المزيد من المباني بين سكّة الحديد والبحر، ممّا أدّى إلى سلسلة بناء متواصلة من حيّ القشلة وحتّى حيّ المحطّة. تمّت إحاطة المقبرة بشكلٍ كاملٍ مع إنشاء مجمّع بناء إضافيّ جنوب شارع يافا، مقابل مبنى المدفن. المقطع الوحيد في واجهة المقبرة الذي بقي مفتوحًا للمنطقة الزراعيّة هو المقطع الذي تمّ فتح مدخل جديد به.

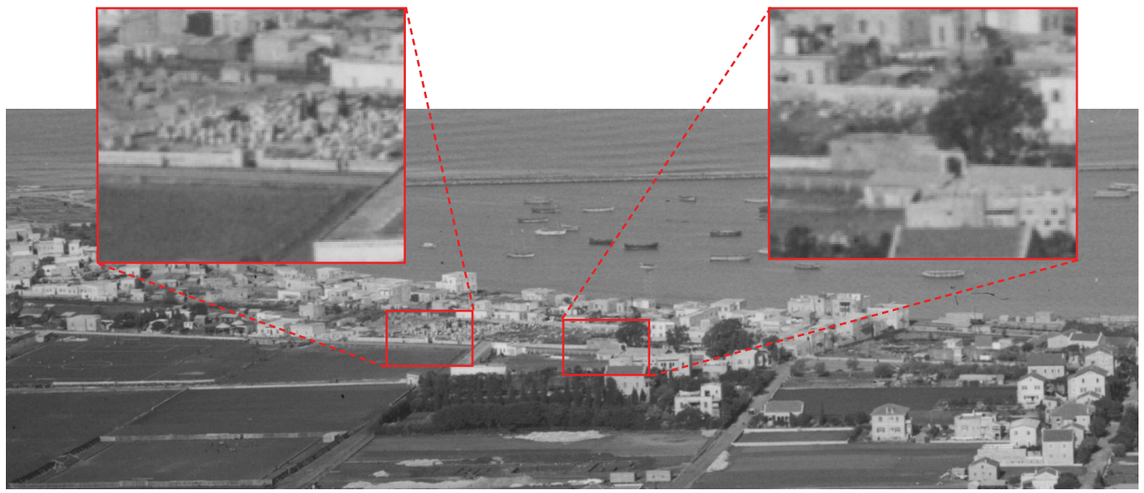

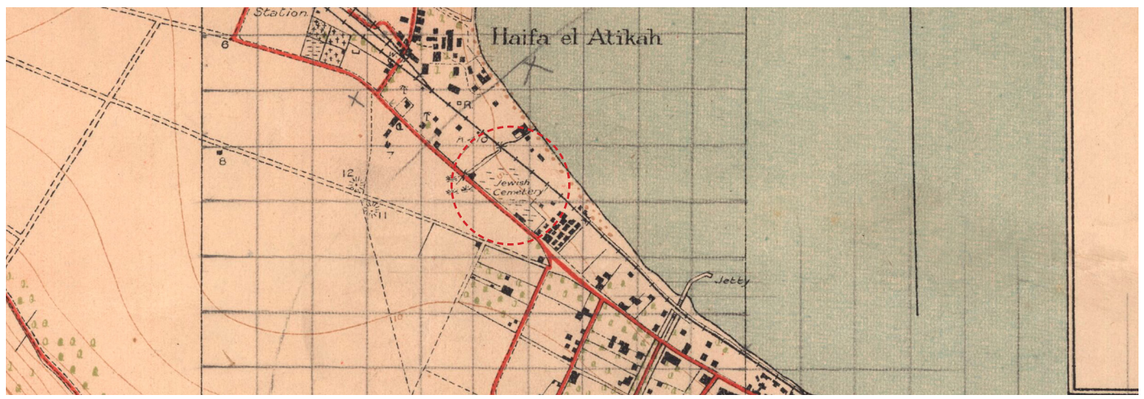

في الأعلى: نظرة باتجاه الشمال، سنوات العشرين. المصدر: Matson Collection
في الأسفل: خريطة حيفا، سلاح الهندسة الملكيّ. المصدر: المكتبة الوطنيّة.

لا تظهر البقعة السوداء التي تشير إلى البوّابة القديمة في ثلاث صور من أواخر الثلاثينيّات من القرن العشرين. يمكن لمن يدقّق بالصور أن يلاحظ العلامات التي أبقتها البوّابة المسدودة في الجدار العالي. غياب الشجرة العالية التي كانت بجانب البوّابة يُشير إلى تغيير إضافيّ طرأ على المبنى (عولامي، 1985، 93). في صورة من عام 1938، يظهر خطّ رفيع يواصل طرف السقف باتجاه الشرق، بشكلٍ منفصل عن الجدار الحجريّ الذي في أسفله. يبدو أنّ هذا الخط تابع لإضافة الغرفة الثالثة التي بُنيت في تلك السنوات في قسمه الشرقيّ. عمليًّا، تكمل الإضافة مقطعي الجدار اللذين واصلا جوانب المنشور لتصبح غرفة مغلقة. تمّ البناء بواسطة خرسانة مسلّحة[1]، والتجديد الأساسيّ هو إنشاء مدخل جديد للمبنى ذاته – من جهة الشمال. بقيت علامات هذا المدخل حتّى اليوم في الجانب الشماليّ للغرفة الثالثة على شكل كوّة مسنّنة.

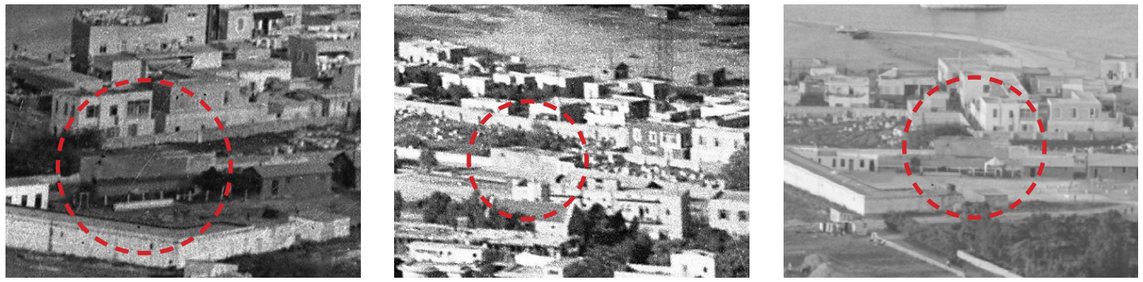

يمين: نظرة باتجاه الشمال، 1935. المصدر: Matson Collection
مركز: نظرة باتجاه الشمال-غرب، 1937. المصدر: المكتبة الوطنيّة، أرشيف دان هِدني.
يسار: نظرة باتجاه الشمال-شرق، 1938. المصدر: المكتبة الوطنيّة، أرشيف دان هِدني.

يمكن الافتراض أنّ هذه التغييرات أيضًا هي رد فعل لسيرورات أوسع مرّت على حيفا، والتي أثّرت أيضًا على بيئة المقبرة. شهدت حيفا الانتدابيّة في ثلاثينيّات القرن العشرين زخم تطوير بنائيّ غير اعتياديّ، يشمل إنشاء مبانٍ صناعيّة عديدة، ومدّ خطّ أنابيب النفط من العراق، وإنشاء المركز التجاريّ الجديد في شارع الملوك، والأهمّ من ذلك، المشروع البريطانيّ الرائد – إنشاء الميناء التجاريّ. أبعد تجفيف شواطئ المدينة بهدف إنشاء الميناء خطّ الشاطئ نحو الشمال، كما أبعد البحر عن المقبرة. رافقت هذه السيرورات حركة نشطة لأشخاص وبضائع على شارع يافا المؤدّي إلى مركز المدينة الصناعيّة. بالإضافة إلى ذلك، أدّت موجات الهجرة التي وصلت إلى شواطئ المدينة إلى زيادة وتيرة البناء، فبدأت تظهر في الطرف الشماليّ من شارع يافا مبانٍ عصريّة بحيث كان الطابق الأرضيّ معدًّا للتجارة، والطوابق العليا معدّة للسكن. يمكننا تخيّل التغيّر الدراماتيكيّ في هويّة الشارع الرئيسيّ، حيث بدأت ترافقه مبانٍ عديدة ابتداءً من حيّ بات غاليم الذي أصبح بوّابة المدينة الجديدة. يمكن تفسير إغلاق البوّابة القديمة للمقبرة واستبدالها بغرفة إضافيّة تُوجّه الدخول للمبنى من جهة الشمال كخطوة انكفاء. مع زيادة الحركة المروريّ في شارع يافا وإغلاق الحيّز الحضريّ على المقبرة، تمّ استيعاب مبنى المدفن – الذي كان في السابق العلامة المميّزة للمجمّع – داخل الخطّ المستقيم للجدار.

تمّ إنشاء مقبرة يهوديّة جديدة في سنة 1937 في شاطئ الكرمل، فتوقّف الدفن في المقبرة القديمة التي امتلأت بالقبور. عندها، بدأت سيرورة هجر وإهمال المقبرة بشكلٍ عامّ، ومبنى المدفن بشكلٍ خاصّ. يكشف توثيق المكان من ثمانينيّات وبداية تسعينيّات القرن العشرين ذروة هذه السيرورة. كتب يعقوب عولامي في سنة 1985 مراجعة موجزة لقبر عفيديمي دامان في إطار الكتاب "حيفا ومواقعها"، وأرفق عدّة صور فوتوغرافيّة تكشف حالة المبنى المهملة. تظهر في الصور شجيرات متشابكة تحيط القسم الغربيّ، وشواهد القبور المغطّاة بالشمع والأوساخ. في صورٍ فوتوغرافيّة أخرى التقطها تسفي هارئيل في تلك السنوات، تظهر أكوام كبيرة من النفايات خارج المبنى وداخله. يظهر توثيق آخر في كتابٍ نشرته لجنة إنقاذ قبور الأجداد في العام 1988، هذه المرّة من جهة شارع يافا، يظهر الاندماج الكامل للمبنى مع جدار المقبرة. قامت المعماريّة زيفا كولودني في سنة 1992 بمسح المجمّع بتوكيلٍ من وحدة الحفاظ على المواقع في بلديّة حيفا. وصفت كولودني الخراب والغطاء النباتيّ اللذين سيطرا على المقبرة. في مسح أجرته نفس الوحدة لشارع يافا بعد سنة، تظهر صورة مبنى المدفن والغطاء النباتيّ يصل إلى سقفه. إلى جانب الإهمال الذي ميّز المبنى في تلك الفترة، يمكننا أن نعرف الكثير عنه من تلك الصور – يمكن أن نشاهد بوضوحٍ إضافة السقف الخرسانيّ في القسم الشرقيّ من المبنى، وشقوق كبيرة تفصل الآن بين السقف المضاف والجدران من تحته. يمكن أيضًا مشاهدة المدخل الوحيد للمبنى من الغرفة الثالثة التي أُضيفت أخيرًا، والملمس الحجريّ في واجهات المبنى الخارجيّة، وعلامات العقود بها. يمكن أيضًا مشاهدة التصميم المشابه لشواهد القبور، ممّا يؤكّد أنّه تمّ بناءها في نفس الوقت، كما يمكن مشاهدة القصارة الناعمة التي غطّت جميع الجدران الداخليّة.

1 يمكن التعرّف بوضوح إلى الاستكمالات الخرسانيّة في إطار إنشاء الإضافة في صورٍ من ثمانينيّات وتسعينيّات القرن العشرين.

يمين: نظرة للزاوية الشماليّة-الغربيّة للمبنى، 1985. المصدر: حيفا ومواقعها.
يسار: الواجهة الشماليّة، 1985. المصدر: حيفا ومواقعها.

يمين: فضاء قبر الحاخام عفيديمي دامان، 1993-1985. المصدر: المقابر القديمة في حيفا، تسفي هارئيل، جامعة حيفا.
يسار: فضاء الردهة، 1993-1985. المصدر: المقابر القديمة في حيفا، تسفي هارئيل، جامعة حيفا.

يمين: الواجهة الشرقيّة، 1993-1985. المصدر: المقابر القديمة في حيفا، تسفي هارئيل، جامعة حيفا.
يسار: الواجهة الجنوبيّة باتجاه شارع يافا، 1993. المصدر: مديريّة الهندسة، بلديّة حيفا.

03 من جدار لمجسّم

من جدار لمجسّم

جلبت سنوات الألفين نقطة تحوّل كبيرة في تاريخ المبنى. في صورة جوّيّة من سنة 2005، تظهر قبّة زرقاء فوق القسم الغربيّ من سقف المبنى، فوق فضاء قبر الحاخام عفيديمي دامان. وصف تقرير في موقع "بحدري حريديم" من سنة 2009 الزيارات المكثّفة التي طرأت على قبر الحاخام، ويشمل التقرير صورًا تُشير إلى أعمال الترميم الكبيرة التي أُجريت للمبنى بين السنوات 1993 و2005. عدا عن إضافة القبّة، شملت الترميمات تغطية الواجهة المطلّة على شارع يافا ببلاطٍ حجريّ، وتغطية باقي الواجهات الحجريّة الأصليّة بجصّ أبيض اللون. بالإضافة إلى ذلك، تغيّرت وظائف الفضاءات الداخليّة تمامًا – تمّ تحويل فضاء الردهة ليصبح قسمًا للنساء، وفضاء المدفن قسمًا للرجال، وتمّ إغلاق الفتحة بينهما ببابٍ مقفل، كما تمّ فتح ثلاث مداخل جديدة للمبنى (اثنان منهما لفضاء المدفن الذي كان الوصول إليه حتّى تلك اللحظة من خلال الردهة فقط). تمّت قصارة جميع الجدران الداخليّة، ودُهنت الأبواب بلونٍ أزرق مشابه للون القبّة، كما أنّ التغيير الأكبر هو بناء شاهد قبر جديد للحاخام عفيديمي دامان. مع ذلك، التغيير الأهم هو ما لا يظهر في تلك الصور؛ في حين لاصق جدار المقبرة المبنى في عام 1993 وأكمله بطريقة متواصلة، يتوقّف الجدار في عام 2009 على بعد مترين من كلّ جانب من جوانب المبنى. هذا يعني أنّ المبنى عاد ليكون بوّابة المقبرة بعد مرور تسعين سنة على إغلاق البوّابة الأصليّة.

حيفا، صورة جوّيّة، 2005. المصدر: مركز المساحة وخرائط إسرائيل

القبّة الجديدة على مبنى المدفن، 2009. المصدر: "بحدري حريديم"
https://www.bhol.co.il/news/107577

ازداد الاهتمام العامّ بالمقبرة في العقد التالي، وخصوصًا قبر الحاخام عفيديمي دامان. نُشر في عام 2010 أنّ وزير الداخليّة، يعقوب مرغي، ورئيس بلديّة حيفا، يونا ياهاف، التقيا لمناقشة موضوع إهمال المقبرة. في السنوات التي تلت ذلك، زار المجمّع عمّال الصيانة في بلديّة حيفا مرّة كلّ عدّة سنوات من أجل القيام بأعمال التقليم واجتثاث الأعشاب التي تُصرّ على النموّ كلّ شتاء (قناة 7، 2010). أجريت أحيانًا ترميمات صغيرة شملت صبّ مسارات خرسانيّة وتجديد جزء من شواهد القبور. في تلك السنوات، ذكرت بعض المواقع الإلكترونيّة الحريديّة عن وصول عدد متزايد من الحافلات المنظّمة التي توصل مصلّين وتنزلهم في واجهة المقبرة (ليبوفيتش، 2016). في ذروة وباء الكورونا في سنة 2020، أُجريت أعمال ترميم جديدة وشاملة لمبنى المدفن. شمل الترميم سدّ التسريبات، بلاط جديد، إضاءة، شبكة كهرباء جديدة وتركيب كاميرات حراسة. بالإضافة إلى ذلك، تمّ تخفيض السقف بين العقود وتركيب مكيّف هواء مركزيّ، كما صُبّ منحدر خرسانيّ في مدخل قسم النساء (في الغرفة التي تمّ بناءها في ثلاثينيّات القرن العشرين). أفاد موقع "قبور الأولياء" أنّه "يتمّ تركيب إضاءة قويّة في هذه الأيام في المداخل وحول المبنى كي يتمكّن المصلّون من زيارة المكان في كل ساعات اليوم من أجل الصلاة (لايفر، 2020). أُجريت الإضافات الأخيرة قبل حوالي سنة، وتشمل بناء سقيفة جديدة على طول الواجهة الجنوبيّة للمبنى.

فضاء المدفن المرمّم، 2009. المصدر: "بحدري حريديم" https://
www.bhol.co.il/news/107577

الممرّ الجديد من الجدار، 2009. المصدر: "بحدري حريديم" https://
www.bhol.co.il/news/107577

هذه السيرورة لا تأتي من فراغ. الإعجاب بالقديسين وزيارة قبورهم هو تقليد شائع لدى اليهود الشرقيّين ويهود شمال أفريقيا على حدّ سواء. مع هجرتهم لإسرائيل في خمسينيّات وستّينيّات القرن العشرين، تمّ الضغط عليهم للتخلّي عن هذا التقليد، ولذلك تمّ الاحتفال بهذا التقليد على نطاقٍ محدود بين أفراد العائلة أو المجتمع المحلّيّ. مع صعود التعدّديّة الطائفيّة في إسرائيل في سبعينيّات القرن العشرين، بدأ اليهود الشرقيّين التعبير بفخرٍ عن تقاليدهم الثقافيّة (غداليا، 2020، 12). في ثمانينيّات وتسعينيّات القرن العشرين، حصلت هذه الظاهرة على مصادقة مؤسّساتيّة من خلال ازدياد عدد وزراء الأديان الذين قادوا أعمال ترميم لقبور الأولياء كمفعّلي تجارة وسياحة على نطاقٍ واسعٍ (بيلو، 1998، 75). بدأت تظهر بالقرب من قبور الأولياء بُنى تحتيّة تهدف إلى دعم العبادة الآخذة في التطوّر، كمثل مواقف سيّارات، زوايا لإضاءة الشموع، تقسيم للفصل الجندريّ، وغيرها... رافق ازدهار هذه التقاليد منذ سنوات الألفين تأسيس جمعيّات ومنظّمات تهتمّ بقبور الأولياء، وأيضًا تطوير منظومة عادات وتقاليد تتعلّق بكلّ ولي ووليّ. تشمل هذه التقاليد مواعيد زيارة خاصّة وأيضًا إيعاز فضائل خاصّة لكلّ ولي. مع مرور السنوات، أصبحت للعبادات الجديدة رموزًا بصريّة أيضًا – القبّة الزرقاء. هناك تفسيرات لاهوتيّة عديدة لاختيار هذا الرمز الذي بدأ ينتشر بين قبور الأولياء في الجليل. سرعان ما بدأت تظهر قبب زرقاء على مبانٍ لم تكن لها قبّة من قبل، مثل قبر الأموريم أو قبر الحاخام عكيفا في طبريا. على الرغم من عدم وجود تفسير رسميّ لهذه الظاهرة بين الأكاديميّين، هناك أمر مؤكّد واحد – أصبحت القبّة الزرقاء رمزًا لقبور الأولياء بلا أيّ منازع.

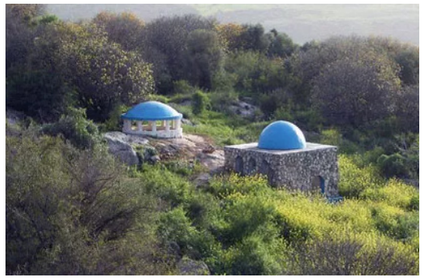

القبب الزرقاء فوق قبر الحاخام بحيي وقبر النبي حبقوق، 2015. المصدر: مساع أحير، تصوير: عادي أدار.

القبب الزرقاء فوق قبر يوناتان بن عوزيئيل بجانب عموقا، 2022. المصدر: هآرتس. تصوير: شاؤول شفارتز.

القبب الزرقاء التي تشير إلى قبر الحاخام عكيفا في طبريّا، السنة غير معروفة. المصدر: المركز القطريّ لتطوير الأماكن المقدّسة.

04 نقاش طبولوجيّ

نقاش طبولوجيّ

على الرغم من أنّ أصل المبادر لإنشاء المبنى أوروبيّ (من المدينة راديفيتس في رومانيا)، تمّ إنشاء المبنى بطريقة بناء محليّة، ولذلك يمكن أن يُعزى إلى نموذج البناء المحليّ للمباني المقدّسة التي تُسمّى مقامات. خلال مساق "حضارة، مادة، وتكنولوجيا" بإرشاد المعماريّة روت ليبرتي-شاليف والمعماريّة شادن حامد، تمّ تطوير حوالي عشرين مقياسًا وفق خصائص فيزيائيّة ووظيفيّة لمبنى المقام، وتمّ وضع المقامات المختلفة التي تمّت مراجعتها عليها وفقًا لخصائص كلّ مقام ومقام. تؤدّي التغييرات العديدة التي أُجريت على مبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان على مرّ السنين إلى إزاحة كبيرة على المقاييس المختلفة وفقًا لسنة الفحص. يحاول سؤال البحث الذي يرافق هذه الوظيفة الربط بين التغييرات التي مرّت على المبنى على مرّ السنين، والسيرورات الحضريّة التي طرأت على محيطه. سيستخدم هذا الفصل المقاييس المختلفة لفحص تبعيّة مبنى مدفن الحاخام عفيديمي لطبولوجيا المقامات، مع التشديد على العلاقة بين المبنى ومحيطه، وبينه وبين نفسه.

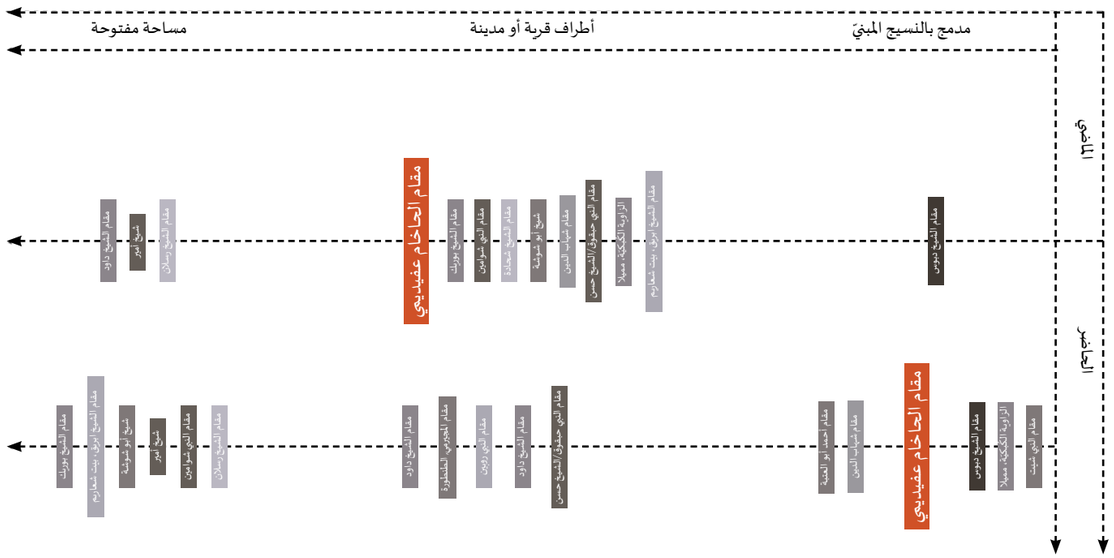

مقياس: العلاقة لنقطة المستوطنة. أمل سليمان ونور أبو أحمد.

أحد التغييرات المركزيّة في تاريخ مبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان هو موقعه بالنسبة للمدينة. على مرّ الأجيال، تمّ إنشاء المقامات في مناطق جغرافيّة بارزة، مثل تلّة، أو بالقرب من مصدر ماء، ممّا زاد أهميّتها الروحانيّة والفيزيائيّة (كنعان، 1927، 5-2). مع مرور السنين، تمّت ملاءمتها مع البيئة المتغيّرة لضمان استمراريّة اندماجها في النسيج المبني. هناك أهميّة كبيرة لموقع المقام نسبة لمركز البلدة، والتي تؤثّر على طريقة عمل المقام، وطريقة استخدامه من قِبَل المجتمع المحلّي. أمّا بالنسبة لمبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان، يمكن أن نرى في المقياس أنّه شُيِّد – كالعديد من المقامات الأخرى – على طرف البلدة، وأنّه اندمج مع مرور الوقت بالنسيج المبنيّ الذي تطوّر من حوله. من شأن هذه السيرورة المهمّة أن تفسّر انغلاق وانكفاء المبنى إلى الداخل في ثلاثينيّات القرن العشرين. على العكس من ذلك، لا يمكن إيعاز التغيير الذي طرأ على وظائفه في سنوات الألفين (من مقبرة عائليّة إلى مركز صلاة) لتغيير علاقة النسيج المبنيّ فيه (وهي سيرورة اكتملت قبل ذلك بخمسين عامًا).

طريقة أخرى لتعزيز إمكانيّة الوصول إلى المقامات ورؤيتها هي موضعتها بالقرب من المفترقات والطرق الرئيسيّة. غالبًا تكون هذه المقامات معدّة لخدمة المارّين، وذلك من خلال إنشاء نقطة توقّف لشرب الماء والصلاة. يعلّمنا المقياس أنّ رؤية المقام بالعين، أو إمكانيّة الوصول إليه من طريق رئيسيّ، هما فعلًا خصائص طبولوجيا المقامات. نرى هنا أيضًا أن مبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان يلائم التعريف الطبولوجيّ، حيث أنّه إذا شوهد المبنى من شارع يافا أوّ كان ملاصقًا له تمامًا، العلاقة بينهما قائمة منذ يوم إنشائه. يشير بحث معمّق أكثر أنّ القرب من شارع يافا في العقود الأولى لإنشاء المبنى، وأيضًا في العقود الأخيرة، يعزّز من إمكانيّة الوصول للمبنى ومن رؤيته، بينما كان القرب من الشارع في معظم السنوات حافزًا لانطوائه.

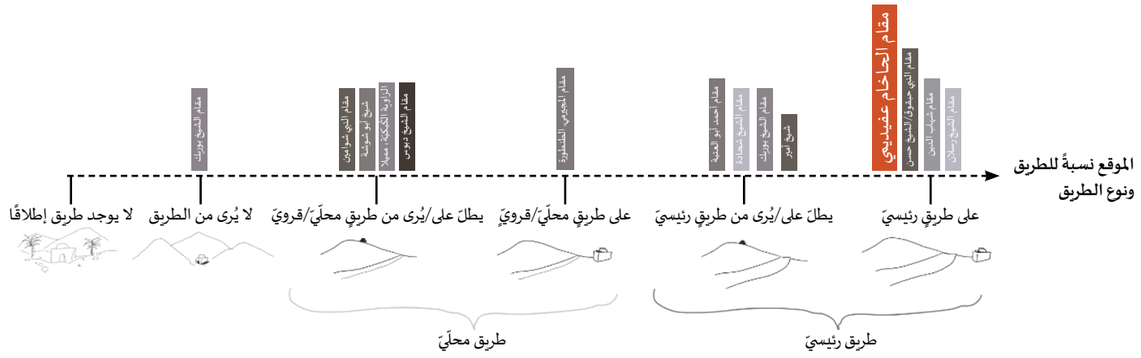

مقياس: العلاقة مع الطريق. رون زمير.

إلى أيّ مدى لاءم مبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان الخصائص الطبولوجيّة المشتركة لمقامات أخرى في البلاد؟ سنبحث الآن التغيير الأبرز الذي مرّ على المبنى، ألا وهو إضافة القبّة الزرقاء. يحاول هذا المقياس فحص التعبير عن القبّة في الفضاء الداخليّ للمبنى. يمكن أن نشاهد بوضوحٍ أنّه تمّ بناء الغالبية المطلقة من المقامات بطريقة التسقيف، بحيث تكون القبّة سقف المبنى نفسه، ولذلك يكون التعبير الداخليّ للقبّة كاملًا. الحالة في مبنى المدفن مختلفة تمامًا، حيث لا يمكن تمييز القبّة التي فوق سطح المبنى من داخل الفضاء الداخليّ، والعكس صحيح. ربّما أكثر من ايّ أمر آخر، يعبّر هذا المعيار عن الفجوة الطبولوجيّة القائمة بين المقام التقليديّ والمبنى قيد البحث. على الرغم من استخدام طريقة تسقيف تقليديّة ومحليّة، لم يتم إنشاء المبنى ليكون مصلّى للمنطقة، ولذلك لم يحصل على الرمز المحلّي لذلك. على مرّ السنين، مرّ المبنى بسيرورة ملاءمة تدريجيّة حوّلته أخيرًا لمصلّى مقدّس، فأُضيف له الرمز الملائم للإعلان عن ذلك. يمكن الاستنتاج من ذلك أنّه، حتّى لو لم يُشيّد المبنى بالأصل ليكون مقامًا، فإنّ الظروف الزمنيّة أدّت إلى الاستلهام من التراث المعماريّ للمقامات.

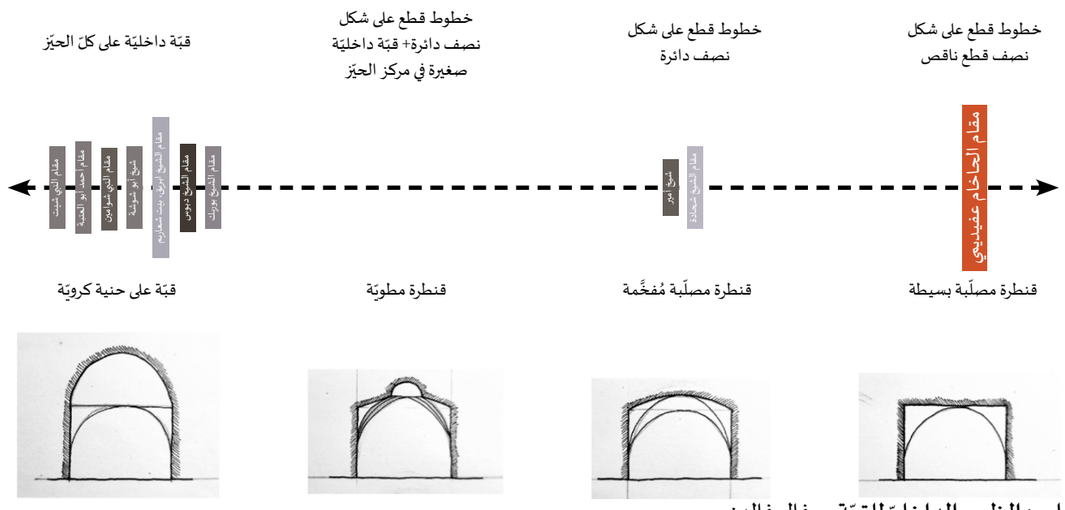

مقياس: الظهور الداخليّ للقبّة. يوفال فالدنر.

استنتاجات وملخّص
مسقنوت وסיכום

إيعاز مبنى مدفن الحاخام عفيديمي دامان لطبولوجيا المقامات هو أمر غير بديهيّ. في حين يتميّز المقام بأنّه مبنى ديني إسلاميّ، يتميّز المبنى قيد البحث بأنّه مبنى دينيّ يهوديّ منذ إنشائه وحتّى اليوم. مع ذلك، تجد المقارنة الطبولوجيّة خطوط تشابه مشتركة بينه وبين المقام "التقليديّ". كمثل معظم المقامات، تمّ إنشاؤه كمجسّم معزول ومنفصل عن النسيج المبنيّ، وفي موقعٍ بارزٍ بالمشهد. في ظروف كهذه، لم تكن هناك حاجة لوجود قبّة على سطحه ليصبح مرئيًّا كما هو مطلوب. مع أنّ شقّ شارع يافا أدّى إلى تحسين إمكانيّة الوصول إليه، إلا أنّه أضرّ إلى الأبد بحضوره في المشهد كمجسّم، وخصوصًا بسبب جدار المقبرة الذي تواصل معه بشكلٍ مباشرٍ. نجح قليلًا تحويله إلى مبنى بوّابة في أن يبقى ذا صلة بفضل وظيفته الجديدة، إلا أنّه فقد خاصيّته الأصليّة مع تكثيف النسيج المبنيّ. أدّى ازدياد عبادات الأولياء في نهاية القرن العشرين إلى إعادة إحياء المصلحة بإبرازه نسبة لمحيطه. بالطبع، لا يمكن في هذه المرحلة إعادة موضعته الأصليّة في المشهد كمجسّم في المشهد العامّ، ولكن يمكن بناء قبّة من فوقه للفت انتباه المارّين من جنبه، ولتمييزه كمجسّم منفصل عن جدار المقبرة. سلسلة التغييرات التي مرّت على المبنى – من مجسّم لبوّابة، من بوّابة لجدار، ومن جدار لمجسّم مرّة أخرى – مركّبة من سلسلة تفاعلات مع حالات حضريّة جديدة أخرجته وأعادته مجدّدًا للتعريف الطبولوجيّ للمقامات. تُشير إعادة المبنى لنقطة البداية من منظور الرغبة في إعادة تصميمه كمجسّم بارز في بيئته إلى أنّ الطريق لهناك مرّت دائمًا بعالم المحتوى العامّيّ الفلسطينيّ-المحلّيّ.

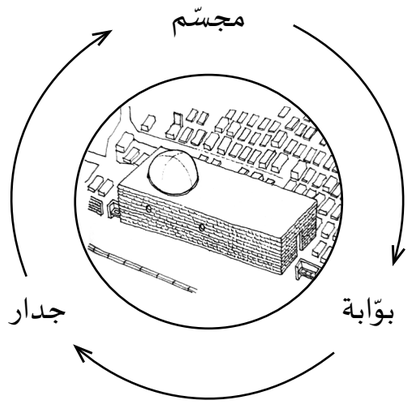

قائمة المراجع
ביבליוגרפיה

كتب ومقالات وخرائط:

- فيلنائي، زئيف (1985). *بدايات حيفا*. في أ. شيلر (محرّر)، حيفا ومواقعها (ص 46-45)، إصدار أريئيل.
- عولامي، يعقوب (1985). *مواقع تاريخيّة وأثريّة في حيفا*. في أ. شيلر (محرّر)، حيفا ومواقعها (ص 100-93)، إصدار أريئيل.
- لجنة إنقاذ قبور الأجداد في أرض إسرائيل (1988). *كتاب أجدادنا*، القدس: لجنة إنقاذ قبور الأجداد في أرض إسرائيل.
- كرمل، ألكس (2002). *تاريخ حيفا في عهد الأتراك*. حيفا: المعهد على اسم غوطليف شوماخِر – جامعة حيفا.
- غاتس، يتسحاق (1998). *الحاخام عفيديمي دامان حيفا*. في دافيد مِتسغر، وجبة عشاء الفصح، نشرة المجلس الدينيّ حيفا، 51-49.
- غداليا، آدفا (2019). *بين الأبديّ والأرضيّ-تواصليّ: مراجعة لظاهرة زيارة قبور الصدّيقين اليهود في الصحافة المكتوبة في إسرائيل* (أطروحة، جامعة حيفا).
- بيلو، يورام (1998). *العبادات والأماكن المقدّسة في الدين العلمانيّ والدين الشعبيّ في إسرائيل*. أبحاث القدس في الفولكلور اليهوديّ 84-65.
- Canaan, T. (1927). *Muhammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, Luzac & Co., London, 5-2.

مواقع إنترنت وروابط:

- كوهين، شمعون (12 أيّار 2010). *نهاية الأشواك التي غطّت قبر الأمويّ*. قناة 7. https://www.inn.co.il/news/204228
- ألون، إيلي (23 تشرين الثاني 2016). *قصّة المقبرة اليهوديّة القديمة في حيفا*. https://www.news1.co.il/Archive/0024-D-116137-00.html
- ليبوفيتش، أهرون باروخ (7 حزيران 2016). *حيفا: صلاة ה"של باسم الأمويّ المقدّس الحاخام عفيديمي دامان حيفا*. JDN https://archive./jdn.co.il/gallery/694953
- لايفر، حاييم (16 آب 2020). *مع انتهاء الترميمات الواسعة ستقام صلوات على اسم تصيون هاتيني في حيفا*. قبور الأولياء. https://www.zadikim.net/?p=22111
- بلوي، زئيف (20 أيّار 2021). *تمّ الانتهاء من أعمال الترميم على اسم الأمويّ الحاخام عفيديمي دامان حيفا*. أخبار JDN https://archive.jdn./co.il/gallery/1531947
- حفرا كاديشا حيفا kdh.org.il/בית-העלמין-חיפה/
- موقع مركز بحث التقاليد المعماريّة على اسم آفي وسارة آرنسون https://heritage.technion.ac.il/
- Govmap خرائط إسرائيل https://www.govmap.gov.il/?c=0&z=10 .

ملاحق
نسفحيم

רשימת האתרים לשימור
כרטיס אתר

אזור 4-בת גלים, קרית אליעזר

עיריית חיפה
היחידה לשימור אתרים

המחלקה לתכנון ארוך טווח

מספר האתר: 1/4	סיווג האתר: מיתחם-הסטורי,עתיק	דרגת שמור:

שם האתר:
בית הקברות היהודי הישן

מיקום:
דרך יפו 112-122

גושים/חלקות:
ראה רשימה בגליון מס' 2

תיק בניין: 3837/51

שימוש נוכחי:
בית קברות

בעלות נוכחית:
מינהל מקרקעי ישראל

שנת הקמה: 1860 (?)

שימוש מקורי:
בית קברות.

מתכנן:

בעל/יזם מקורי:
אין

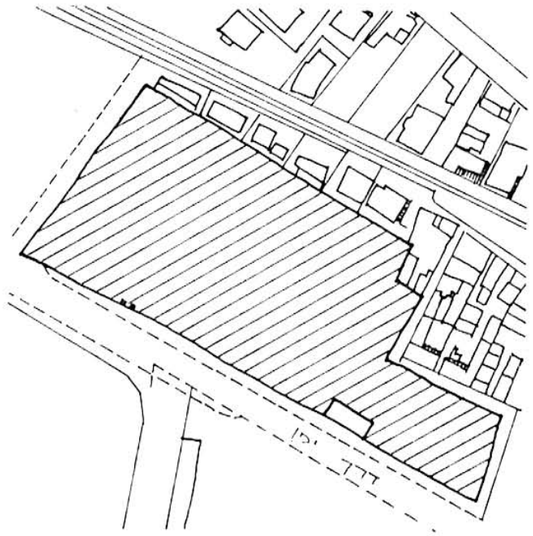

מפת האתר וסביבתו — קנ"מ: 1: 2000

צילום/ציור האתר

גליון מס' 1
רשימת האתרים לשימור
כרטיס אתר

אזור 4-בת גלים, קרית אליעזר

עורך הסקר: אדר' זיוה קולודני

תאריך הסקר: 05/08/92
עיריית חיפה
היחידה לשימור אתרים

המחלקה לתכנון ארוך טווח

مسح وحدة الحفاظ على المواقع في بلديّة حيفا، آب 1999، محرّرة المسح: زيفا كولودني. المصدر: جامعة حيفا.